د. شوقي أبو خليل



محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

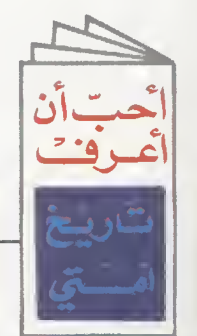
من البعثة إلى الهجرة

اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق



دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية



د. شوقي أبو خليل

محمد رسول الله ﷺ

من البعثة إلى الهجرة

الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٠١١, ٣٠٢٦
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠١١, ٠٨٨١
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-113-2
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-118-3
الرقم الموضوعي: ٨٧٠
الموضوع: أدب الأطفال
السلسلة: أحب أن أعرف تاريخ أمتي
العنوان: محمد رسول الله ﷺ من البعثة إلى الهجرة
إعداد: د. شوقي أبو خليل
رسوم وإخراج: المكتب الفني - دار الفكر
الإشراف: محمد سرور علواني
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٦ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com



إعادة
١٤٢٢هـ=٢٠٠١م
ط١: ١٩٩٣م

زينة : يَاسَامِرُ ، يَاعامِرُ ، اليومَ جلستُنا العلميَّةُ التَّاريخيَّةُ .

سامر : نعم ، وسنتابعُ سيرةَ نبيِّنا الكريم ﷺ .

عامر : سيحدِّثُنا والدُنا العزيزُ عن السِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرَةِ ، من البعثةِ إلى الهجرةِ .

زينة : هل سجَّلتُما بعضَ الأسئلةِ ؟

سامر : سأسأَلُ والدي عن طبيعةِ رسالةِ الإسلامِ وخصائصِها .

عامر : وأنا سأسأَلُ والدي عن (عامِ الحزنِ) .

زينة : وأنا سأسأَلُ والدي السؤالَ التَّاليَ : لماذا اختارَ ﷺ يثربَ (المدينةَ المنوَّرةَ) داراً للهجرةِ ؟

وهنا .. تدخل ديمةُ الصَّغيرةُ لتقولَ لإخوتِها : بابا وماما ينـاديـانكم ، حملَ سامر أُختَهُ ديمة وقبَّلَها ، وسارَ معَ إخوتِـهِ إلى غرفـةِ الجلوسِ ، وحينـما دخلوهـا قالوا : السَّلامُ عليكم .

ردَّ الوالـدانِ السَّـلامَ ، بينما كانَ الأولادُ يتحلَّقـونَ حـولَ المنضـدةِ ، وقـال الأبُ : أهلاً بكُم ياأبنائي الأعزَّاءَ ، سنتابِعُ اليومَ عرضَ سيرةِ نبيِّنا الكريمِ ﷺ من البعثةِ وحتَّى الهجرةِ ، وسنبدأُ من غارِ حِراءَ .



يومَ الإثنين ١٧ رمضان ، نزلَ جبريلُ بالوحي عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وقال : « يا محمَّدُ أنتَ رسولُ اللهِ حقّاً ، وأنا جبريل » ، وتلا عليه : ﴿ ٱقْرأ بِٱسمِ رَبِّكَ ٱلَّذي خلَقَ .. ﴾ .

الأُم : عاد ﷺ إلى بيتِهِ ، وقصَّ على زوجِهِ خديجةَ ما رأى وما سمعَ ، والزَّوجةُ أعلمُ النَّاسِ بزوجِها ، فقالت : واللهِ لن يُخزيَكَ اللهُ أبداً ، إنَّك لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحديثَ ، وتؤدِّي الأمانةَ ، وإنَّ خُلُقَكَ لَكريمٌ ، ثمَّ انطلقت إلى وَرَقَةَ بنِ نَوْفل ـ وهو عالمٌ عابدٌ ـ فأخبرتْهُ ما أخبرَها به ﷺ ، فقالَ ورقةُ : واللهِ إنَّ ابنَ عمِّكِ لصادقٌ ، وإنَّهُ لبدءُ النُّبوَّةِ ، وإنَّهُ لَيأتيهِ النَّاموسُ الأكبرُ ، أي جبريلُ عليه السَّلامُ .



الأب : لقد كان ﷺ في الأربعين من عُمُرِهِ عندما نزلت عليه أُولى كلماتِ القرآنِ الكريمِ : ﴿ اقرأ ﴾ ، إنَّها عظمةٌ لأُمَّتِنا ـ وللعالَمِ كلِّه ـ أن تكون ﴿ اقرأ ﴾ بدءَ شريعتها ، إنَّ ﴿ اقرأ ﴾ يا أبنائي نورٌ انطلق من حراء لتشرقَ به جنباتُ الأرضِ حضارةً ورُقيّاً وإخاءً وإنسانيَّةً .

سامر : ما طبيعةُ هذه الرِّسالةِ الَّتي بدأت بـ ﴿ اقرأ ﴾ ؟

الأب : شريعةٌ عامَّةٌ لكلِّ النَّاسِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ ﴾ ، [الأنبياء : ١٠٧/٢١] .

الأُم : وتخاطب العقلَ ، لا أسرارَ ولا رموزَ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمونَ إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ ﴾ ، [الزُّمر : ٩/٣٩] .



الأب : ومعجزةً خالدةً باقيةً ، حقائقُها ثابتةً مهما تقدَّم العِلْمُ وارتقى ، فهي تنزيلٌ من مُهَيْمنٍ عليمٍ خبيرٍ .

الأُم : لذلكَ نسمعُ بينَ آونةٍ وأُخرى إعلانُ إسلامِ كبارِ العلماءِ في الغربِ ، على اختلافِ اختصاصاتِهِمُ العلميَّةِ .

الأب : إنَّهم يسلِّمونَ بالقرآنِ الكريمِ معجزةً خالدةً .

زينة : ألا يكفينا فخراً أنَّ أُولى درجاتِ ارتقاءِ العِلْمِ ﴿ ٱقرأ ﴾ هي أُولى كلماتِهِ ؟!

عامر : لقد بدأت الدَّعوةُ الإسلاميَّةُ بنزولِ الوحْيِ ، وَمن ثَمَّ ؟

الأب : وبقيت الدَّعوةُ سِرّاً ثلاثَ سنين ، أسلم خلالَها عددٌ من الصَّحابة ، ثمَّ نزلت الآيةُ الكريمةُ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقرَبِينَ ﴾ حلقةً أُولى ، ثمَّ أُمِرَ بتبليغِ قبيلتِهِ وقومِهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى ـ أي مكَّة ـ وَمَا حَوْلَهَا ﴾ ، [الشُّورى : ٤٢/٧] ، حلقة ثانية ، ثمَّ بعدَ قريشٍ والعرب كلِّهم ، تأتي الحلقةُ الثَّالثةُ ، البشريَّةُ جمعاءُ ، والعالَمُ كلُّهُ وهو الهدف : ﴿ وَمَا أرسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ ﴾ .

الأُم : وعندما جهر ﷺ بالدَّعوةِ سَفَّهَ وثنيةَ قريشٍ ، وعبادتَها الأصنامَ ، فناصبوهُ العداءَ ، وعذَّبوا المسلمين ، وكان ﷺ في حمايةِ عمِّه أبي طالبٍ .

الأب : لقد كان ﷺ صابراً مثبِّتاً لأصحابه ، فهو على يقينٍ بانتصارِ الإسلامِ وانتشارِ التَّوحيدِ .

الأُم : وعلى الرَّغم من اضطهادِ قريشٍ وعداوتِها كانت تهابُه ﷺ .

الأب : طاف ﷺ بالبيتِ يوماً ، ووجهاءُ قريشٍ وسادتُها جالسون في فِنائِهِ ، فكلَّما مرَّ ﷺ غمزوا بالقول ، فيبدو ذلك في وجهه ﷺ ، ولما أتمَّ طوافَهُ سبعةَ أشواطٍ ، التفتَ إليهم وقالَ ﷺ : يا معشرَ قريشٍ ، شاهتِ الوجوهُ ، وأرغَمَ الله هذهِ المعاطس ـ أي الأُنوف ـ، فراعهُم قولُهُ وأفزعَهُمْ ، وقالوا : اذهب أبا القاسِمِ موفوراً ، ما علمنا عليكَ شرّاً قطُّ .



الأُم : وكان أبو جهل أشدَّ النَّاسِ عداوةً وبغضاً لرسول الله ﷺ ، وكانَ لبعضِ العربِ دَيْنٌ عليه فماطلَهُ ، ثمَّ امتنعَ عنِ السَّدادِ ، فاستعانَ الرَّجُلُ ببعضِ زعماءِ مكَّةَ ممن هم على شاكلةِ أبي جهلٍ ، فأحالوهُ على محمَّد ﷺ متهكِّمين منه ، فذهبَ إليه الرَّجلُ يستعينُ بهِ ، فذهبَ ﷺ إلى بيتِ أبي جهلٍ ، وطرقَ البابَ ، فخرج إليه ، فقالَ لهُ ﷺ : أدِّ للرَّجلِ دَيْنَهُ ، فأحضرَ المالَ ، وسدَّدَ الدَّينَ صاغِراً ، وصارَ أبو جهلٍ أُضحوكةَ الجاهليِّينَ أشباهِهِ .



الأب : بدأ الإسلامُ يجدُ طريقَهُ إلى القبائِلِ ، فازدادت مناوأةُ قريش ، وازدادَ إيذاؤها للمسلمينَ ، فأذِنَ ﷺ للمسلمينَ بالهجرةِ إلى الحبشةِ ، حيثُ سمِعَ ﷺ بتسامحِ ملكِها (النَّجاشيِّ) وحسنِ خُلُقِهِ .

الأُمّ : لقد أرسلتْ قريشٌ مَن يطلبهُمْ منهُ لإرجاعِهِمْ إلى مكّةَ حيثُ العذابُ والاضطّهادُ .



الأب : لقد رفضَ النجاشيُّ إعادتَهم إلى قُريشٍ ، بعدما سمِعَ من جعفرِ بنِ أبي طالبٍ آياتٍ من القرآنِ الكريمِ فيها احترامٌ للسَّيِّدِ المسيحِ ، ومما قالَهُ جعفرُ للنَّجاشيِّ : « أيُّها الملكُ ، كنَّا قوماً على الشِّركِ ، نعبدُ الأوثانَ ، ونأكُلُ الميتةَ ، ونُسيءُ الجوارَ ، يستحلُّ المحارِمَ بعضُنا من بعضٍ في سفكِ الدِّماء وغيرِها ، لا نُحِلُّ شيئاً ولا نُحرِّمُه ، فبعَثَ اللهُ إلينا نبيّاً من أنفسِنا نعرفُ وفاءَهُ وصدقَهُ وأمانتَهُ ، فدعانا إلى أن نعبدَ اللهَ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، ونصِلَ الأرحامَ ، ونحميَ الجوارَ ، ونصلِّي للهِ عزَّ وجلَّ ، ونصومَ لهُ ولا نعبدُ غيرَهُ » .

الأُم : عندها قرَّرت قريش مقاطعةَ كلِّ بني هاشِمٍ وبني عبدِ المطَّلِبِ في شِعبٍ عُرِفَ باسم : (شِعبِ أبي طالبٍ) .

الأب : أقامَ بنو هاشِمٍ وبنو عبدِ المطَّلِبِ في الشِّعْبِ ثلاثَ سِنينَ ، قطعتْ قريش خلالَها الطَّعامَ ، إلاَّ ما كانَ يَصِلُهُم سِرّاً ، وعلَّقت صحيفةً في جوفِ الكعبةِ تَنُصُّ على المقاطعةِ التَّامَّةِ .

الأُم : أخبر ﷺ عمَّهُ أبا طالب أنَّ (الأَرَضَةَ) - وهي دودةٌ بيضاءُ تُشبِهُ النَّملةَ - أكلت ما كانَ في الصَّحيفةِ من جَوْرٍ وظلمٍ ، وبقيَ اسمُ اللهِ عزَّ وجلَّ فقط .

الأب : ذكرَ أبو طالبٍ ذلكَ لإخوتِهِ ، وخرجوا إلى المسجدِ ، فقالَ



أبو طالبٍ لكفّارِ قريشٍ : إنَّ ابنَ أخي قد أخبرني ولم يكذِبْني قطُّ ، أنَّ اللهَ قَد سَلَّطَ على صحيفتِكُمْ (الأرَضَةَ) فأكلَتْ كلَّ مافيها من جَوْرٍ ، أو ظلمٍ ، أو قطيعةِ رحمٍ ، وبقي فيها كلُّ ماذُكِرَ بهِ الله ، فإن كانَ ابن أخي صادقاً رجعتُمْ عن سوءِ رأيكُمْ ، وإن كانَ كاذباً دفعتُهُ إليكُمْ فقتلتُموهُ أو استحييتُموهُ ، قالوا : قد أنصفَنا أبو طالب ، فأرسلوا إلى الصَّحيفةِ ففتحوها ، فإذا هي كما قالَ ﷺ ، فخرجوا من شِعبِ أبي طالبٍ .

عامر : وما عامُ الحزنِ يا والدي ؟

الأب : في السَّنةِ العاشرةِ من البعثةِ ، بعدما خرجَ بنو هاشمٍ وبنو عبدِ المطَّلبِ من الشِّعبِ توفِّي أبو طالبٍ ، ثمَّ خديجةُ ، وبينهما شهرٌ وخمسةُ أيَّامٍ فقط ، فحزنَ النَّبيُّ ﷺ والمسلمونَ جميعاً ، فسُمِّي هذا العامُ : (عامَ الحُزنِ) .

الأُم : ولما توفِّي أبو طالبٍ اجترأت قريشٌ على رسولِ اللهِ ﷺ ، فخرجَ إلى مدينةِ الطَّائفِ ، ومعهُ زيدُ بنُ حارثة آملاً إسلامَ أهلِها ، ولكنَّه عادَ إلى مكَّةَ وهو محزونٌ إذ لم يستجِبْ لهُ رجلٌ واحدٌ من أهلِها ، ومعَ ذلكَ قالَ ﷺ لزيدٍ : « إنَّ اللهَ جاعلٌ لما ترَى فَرَجاً ومخرَجاً ، وإنَّ اللهَ ناصرٌ دينَهُ ، ومظهرٌ نبيَّهُ » .



الأب : وفي هـذه الفترةِ ، بعـدَ عـامِ الحـزنِ ، وبعـدَ رحلـةِ الطّـائِفِ كانت معجزةُ (الإسراء والمعراجِ) ، بقدرةِ اللهِ الّتي لا تحدُّها حدودٌ : ﴿ سُبْحَانَ الَّـذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ ، [الإسراء : ١/١٧] .



الأُم : اتَّجهَ ﷺ في نشاطِهِ إلى الدَّعوةِ خارجَ مكَّة ، فلقي عدداً من أهلِ يثربَ في مكانٍ يدعى (العَقَبَةَ) بين مِنَى ومكَّة ، فأسلمَ اثنا عشر رجلاً ، وهذه : بيعةُ العقبةِ الأُولى ، وعاد هؤلاء المسلمون إلى يثربَ ومعهم مصعبُ بنُ عميرٍ معلِّماً مفقِّهاً .

الأب : وفي موسمِ العامِ التَّالي ، عاد مصعبٌ إلى مكَّة ، وخرج المسلمون معه ، فكانت بيعةُ العقبةِ الثَّانيةُ ، الَّتي فاجأت قريشاً ، بعد أن بايعَ ثلاثةٌ وسبعونَ رجلاً وامرأتانِ رسولَ اللهِ ﷺ : « .. أنا منكم وأنتم منِّي ، أُحارِبُ مَن حاربتُم ، وأُسالِمُ مَن سالمتُم .. » .



الأُم : انتقلت قريشٌ بعد بيعةِ العقبةِ الثَّانيةِ من الإيذاء إلى الإفناء ، فدبَّرت لقتلِ رسولِ الله ﷺ ، فأذِنَ اللهُ لنبيِّه بالهجرةِ .

الأب : نامَ عليٌّ رَضي الله عنه في فراشِ رسولِ الله ﷺ مطمئناً ، فلقد قال له ﷺ : « فإنَّهُ لن يَخلُصَ إليكَ شيءٌ تكرهُهُ منهُم » .

الأُم : خرج ﷺ في غايةِ الهدوءِ والأمنِ متهلّلاً ، ووضع حفنةً من التُّرابِ على رؤوسِ مَن حاصرَ دارَهُ ، خرجَ ليُهاجِرَ معَ أبي بكرٍ رضي الله عنه .

الأب : جُنَّت قريشٌ ، وطارَ صوابُ أبي جهلٍ ومَنْ معه ، عندما علموا بخروجِ رسولِ الله ﷺ ، وأحدقوا بعليٍّ رضي الله عنه ، وحاولوا بكلِّ وسيلةٍ أن يعرفوا منه مكانَ وجودِ رسولِ اللهِ ، وعبثاً حاولوا ، فلمَّا استيأسوا منه أطلقوه ، فقام علي رضي الله عنه ينادي في مكّة: من كانَ لهُ عندَ رسولِ الله ﷺ وديعةٌ فليأتِ تؤدَّ إليهِ أمانتَه .



الأُم : وكانَ دليلُ طريقِ الهجرةِ (عبدَ اللهِ بنَ أُريقط) ، ومع أنَّه مشركٌ لم يَخُن لصداقتهِ مع أبي بكر رضي الله عنه ، والخيانةُ سُبَّةٌ كبيرةٌ عندَ العربِ .

الأب : وفي ١٢ ربيع الأوَّل سنة ١٤ من البعثة ، الموافق ١٨ تموز سنة ٦٢٢ م ، وصل الرَّكبُ المباركُ إلى (قُباءَ) ، ولما أراد ﷺ دخولَ المدينةِ (يثرب) ، أضاء منها كلُّ شيء ، يقولُ أنس رضي الله عنه : شهدتُ يومَ دخولِ رسولِ الله ﷺ المدينةَ فلم أرَ أحسنَ منهُ ولا أضوأ .

الأُم : لقد ازدانت المدينةُ ، ولبسَ النَّاسُ أحسنَ ملابسِهِم كأنَّهُم في يومِ عيدٍ ينشدونَ ويضربونَ بالدُّفوفِ :

طَلَعَ البدرُ علينا   من ثنيَّاتِ الوداع
وجبَ الشُّكرُ علينا   ما دعا للهِ داع
أيُّها المبعوثُ فينا   جئتَ بالأمرِ المطاع



زينة : جمَّع ﷺ المسلمينَ في موطنٍ واحدٍ ليُمكِّنَهم مِنَ الدِّفاعِ عن أنفسِهِم ، والدَّعوةِ إلى دينِهم والجهرِ بهِ ، وأصبحت مصالحُ قريش التِّجاريَّةِ في خطرٍ في ذهابِها إلى الشَّامِ وإيابِها منها .

سامر : لقد سجَّلنا في مفكّراتِنا أهمَّ النُّقاطِ الَّتي ذُكِرَت في جلسةِ اليوم ، شكراً يا بابا ، شكراً يا ماما .

عامر : وأنتِ يا ديمة ، ماذا حفظتِ اليوم ؟

ديمة : نزلَ الوحيُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو في غارِ حراء ، وعذَّبت قريشُ المسلمين ، فهاجروا إلى الحبشة ، ثمَّ إلى المدينةِ المنوَّرةِ .

ضحكَ الجميعُ وقالوا : أحسنت يا ديمة ، أحسنتِ يا ديمة .

أحبّ أن أعرف

(تاريخ أمتي)

١- مهد أجدادي.

٢- حضارة أجدادي.

٣- العرب قبيل الإسلام.

٤- محمد بن عبد الله ﷺ قبل البعثة.

٥- محمد رسول الله ﷺ من البعثة إلى الهجرة.

٦- محمد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة.

